لم تمنعه حالته الصحية من صنع اللعب والسيارات الخشبية. هو شكري السلطاني، تونسيّ يقضي معظم وقته في ورشة صغيرة يصبّ فيها كل طاقته ليخرج بمنتجات مميّزة يسوّقها بطريقة خجولة بعض الشيء

في ورشته الصغيرة يقضي معظم وقته (العربي الجديد)

شكري السلطاني

لعبٌ من بقايا الخشب في تونس

تونس ـ **مريم الناصري**

بخطوات بطيئة ومتعثّرة يتنقّل شكري السلطاني في ورشته الصغيرة بين آلات قصّ الخشب وصقله وبين طاولة تركيب القطع ولصقها. يقص قطعاً من الخشب بأشكال مختلفة رسمها بنفسه مسبقاً، ثمّ يلصقها بعضها ببعض ويركّبها ليصنع لُعَباً وسيارات صغيرة من الخشب بأشكال وأحجام مختلفة. يعيش السلطاني في منطقة عين دراهم بمحافظة جندوبة التي تقع في أقصى شمال غربي تونس وتبعد عن العاصمة التونسية نحو 160 كيلومتراً. وتُعَدّ تلك المنطقة من المناطق السياحية الأكثر شهرة في البلاد، خصوصاً في فصل الشتاء الذي تشهد فيه تلك الجهة تساقط كميات كبيرة من الثلوج. كذلك تُعَدّ من المناطق الأكثر خضرة، لتنوّع مخزونها النباتي وامتداد غاباتها على مساحات شاسعة جعلتها تستقبل آلاف السياح على مدار السنة.

ويشتهر سكان المنطقة بالعمل في مهن حرفية وفي صناعات تقليدية من قبيل الفخار والخزف والسعف، بالإضافة إلى الحرف التي تعتمد على الخشب الطبيعي، نظراً إلى أنّ المنطقة غنية بالثروات الطبيعية. وعلى طول الطريق المؤدية إلى الجهة، تنتشر محال تجارية صغيرة تعرض المنتجات الحرفية التي يصنعها أبناؤها من جذوع الأشجار، خصوصاً شجر الزيتون. ومن تلك المنتجات أدوات للديكور والزينة وأوان للأكل وغيرهما.

وشهرة الجهة بالصناعات الخشبية هي التي دفعت السلطاني في الأساس إلى تعلّم حرفة في هذا المجال، نظراً إلى أنّها مادة متوفّرة بسهولة في الجهة. فتلقّى تدريباً في صناعة اللعب والتحف من الخشب، على الرغم من إعاقته وعدم قدرته على المشي بشكل طبيعي. يخبر السلطاني «العربي الجديد» أنّه يعمل في هذا المجال منذ أربعة أعوام تقريباً، «ولم تمنعني إعاقتي من تعلّم تلك الحرفة على مدى سبعة أشهر». ويشرح أنّه شارك في تدريب خاص للأشخاص ذوي الإعاقة يشجّعهم على إطلاق مشاريع خاصة بهم، لا سيّما في الجهات الداخلية التي تعاني ارتفاعاً في نسبة البطالة. فكانت الانطلاقة الأولى له في عام 2018، من خلال العمل مع صديقه الذي تلقّى التدريب نفسه. يُذكَر أنّ نساءً في الجهة رحنّ يعملنَ من بيوتهنّ في تلوين القطع الخشبية أو صقلها ليتمّ تركيبها في الورش. وبعد تجربته التي امتدت عامَين من الزمن، قرّر إنشاء ورشته والعمل بمفرده في غرفة صغيرة بمنزله. يحكي أنّه في البداية يرسم أشكالاً مختلفة على ألواح خشبية مسطحة، وهي رسومات يختار بعضها عبر شبكة الإنترنت وقد اطّلع خصوصاً على تصاميم مختلفة من السيارات في الأساس. ثمّ يقوم بقطع الخشب المرسوم ثمّ يعمد إلى ترطّيب القطع ولصقها بعضها ببعض لتكوين هيكل السيارة أو أيّ شيء آخر.

وبعدما انطلق في ورشته، بات السلطاني يُشغّل عدداً من الحرفيين معه، فثمّة من يساعده في قصّ القطع أو في لصقها، وبين من يصمّم بعض السيارات التي تلقى رواجاً كبيراً وسط الأطفال. وهو يصنع في اليوم الواحد نحو عشر سيارات بأشكال وأحجام مختلفة من بقايا الخشب التي يُحضِرها من ورش نجارة وأخرى لصناعة الأثاث بأسعار زهيدة.

وفي ورشته يرصف السلطاني منتجاته بشكل منظّم بحسب النوع والحجم، فباتت تلك الغرفة الصغيرة أشبه بمعرض صغير للسيارات الخشبية. وتختلف ألوان وأحجام ما ينتجه من سيارات بحسب طلبات بعض الزبائن أحياناً. ويشير إلى أنّ ثمّة من يرسل إليه تصاميم عبر مواقع التواصل الاجتماعي لينفّذها لأطفالهم، لا سيّما تصاميم السيارات. كذلك قد تُطلب منه تصاميم معيّنة في خلال مشاركته في المعارض. وهو كان قد شارك في معارض عديدة في جهات مختلفة، خصوصاً معارض الصناعات التقليدية أو تلك التي تنظّمها وزارة السياحة، علماً أنّها كرّمته في عام 2018. وتمثّل تلك المعارض فرصة لتوفير مداخيل له، لا سيّما أنّه لا يملك محلاً لبيع وعرض ما ينتجه، فيكتفي بتسويق منتجاته عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويوضح السلطاني أنّ «التصاميم تحتاج إلى الدقة والبحث عن أشكال مختلفة للسيارات، لا سيّما أشكال العربات القديمة التي كانت تُباع في سبعينيات القرن الماضي، نظراً إلى أنّها تلقى رواجاً كبيراً. فهي إمّا تُستخدم للزينة وإمّا يقتنيها بعض الناس كلُعب لأطفالهم، لا سيّما أنّها بسيطة ولا تؤذي صحة الأطفال كما هي الحال مع بعض السيارات البلاستيكية». تجدر الإشارة إلى أنّ السلطاني يتنقّل في المنطقة على كرسي متحرّك نظراً إلى عدم قدرته على المشي مسافات طويلة. هناك، كلّ الناس يعرفونه ويشجّعونه على عمله، ويثمّنون تعويله على نفسه على الرغم من حالته الصحية. كذلك يساعدونه في الحصول على كلّ المواد الأولية التي يحتاجها في عمله. من جهة أخرى، لم يتلقّ حتى الآن دعماً حقيقياً من أيّ جهة رسمية، بل مجرد وعود بتوفير بعض التجهيزات له أو تقديم دعم مادي ما. لكنّه يأمل أنْ يُمنح دكاناً صغيراً في القرية الحرفية بالجهة، ليعمل فيه ويعرض بضاعته كما بقيّة حرفيّي الجهة.

باختصار

من بقايا خشب يُحضِرها من ورش نجارة يصنع لُعَباً وسيارات صغيرة بأشكال وأحجام مختلفة

■■■

شارك في تدريب خاص للأشخاص ذوي الإعاقة يشجّعهم على إطلاق مشاريع خاصة بهم، لا سيّما في الجهات الداخلية التي تعاني ارتفاعاً في نسبة البطالة

■■■

يأمل أنْ يُمنح دكاناً صغيراً في القرية الحرفية في منطقته، ليعمل فيه ويعرض بضاعته كما بقيّة حرفيّي الجهة

وأخيراً

على حافة انهيار... عصبي

نجوى بركات

نستعير من المخرج الإسباني بيدرو ألمودوفار عنوان أحد أجمل أفلامه، «نساء على حافّة انهيار عصبي»، لتوصيف حالةٍ معمّمة يعيشها اللبنانيون كافة، وتتضّح في سلوكهم اليومي، وفي تعاطيهم مع الشأنين، الخاص والعام، وذلك على الرغم من الأرقام المرعبة التي تُنشر عن نسبة تعاطي اللبنانيين جميع أصناف العقاقير والمهدّئات العصبية، كزاناكس وبروزاك وسبراليكس وأتاراكس ونورموكالم، وتبادلها، نصائح وحبوبا، مع اختبارها وتجريبها، كما لو كانت سكاكر شهيةٍ بألوانٍ ونكهاتٍ مختلفة. ومظاهر الانهيار العصبي هذا، بما يشمله من شعورٍ حادّ بالاكتئاب وفقدان الشهية إلى الإتيان بأي مجهودٍ خارج الحدّ الأدنى الذي يُتيح البقاء على قيد الحياة، والشعور بانعدام القيمة الذاتية، وبالانزلاق تباعا إلى مرتبةٍ هي ما دون أدنى خلق الله، وأكثرهم عرضة للّعنات، تنقسم إلى نوعين: منها ما يوضع في باب الهستيريا والتوتّر العالي ورغبة التدمير والإيذاء، موجّهة إلى الذات، أو إلى الآخرين. ومنها ما يستدعي، على العكس، حالة من الكمون والضمور والاستكانة، ترافقها مقدرةٌ هائلةٌ على ابتلاع الإهانات ومضغ الذلّ وشعور بالعجز، يستتبعه رضوخ تام لواقع الأمر، مع غياب أي استجابةٍ أو ردّ فعل. لكأنّ جهاز المناعة لدى هؤلاء، وهم الأكثرية على ما تُشير إليه الوقائع والدراسات، قد تلقّى ضربةً قاصمةً في عموده الفقري، أدتّ إلى شلل تام في العصب الرئيس المسؤول عن توزيع المشاعر والأحاسيس.

أجل، اللبنانيون جميعا مصابون بانهيار عصبي. يكفي أن تراهم من وراء زجاج سياراتهم، مصطفّين بالمئات من أجل كم ليتر وقود، أو أمام رفوف السوبرماركت يتأمّلون البضائع ويحاورون أسعارها التي بلغت حدّ السماء، أو في تعاطيهم مع الأزمة الاقتصادية أو مصيبة فقد أمواهم التي نهبتها المصارف. فمنذ أيام، على سبيل المثال، صرّح أحدُ النشطاء ممن شاركوا في ثورة 17 تشرين، بأنه سعيد لفقد ابنه الشاب في حادث سيارة. أجل! هذا ما قاله حرفيا أمام عدسة الكاميرا، مضيفًا أنّ ابنه، برحيله، بات في مأمنٍ من هذه البلاد، وقد خلص بالموت من حاضر سيئ ومستقبل أسود مجهول. وإذ وُضعت صورةُ ابنه على الشاشة، فرطنا، نحن المشاهدين، بالبكاء، لكلّ هذا البهاء ولكمّ الإقبال على الحياة التي يضجّ بها هذا الوجه الفتيّ الجميل. بكينا نعم، لكننا استوعبنا الرجلَ وفهمنا مقصده، فلم نقل إنه فقد الصواب لهول الصدمة، أو إنه في حالة اضطرابٍ جعلته ينطق بما لا يستوعبه عقلٌ أو قلب. والحال أنّ من امتلك من اللبنانيين جنسيةً أخرى، سافر أو هو قيد الإعداد لسفره، ومن أنهى دراسته الجامعية يبحث مستميتا عن فرصة عملٍ في الخارج، تنقذه من هذا الجحيم. أما البقية من الباقين في البلاد، فهم يسعون إلى نكتةٍ تخفّف عنهم ثقلَ الأوضاع. نكاتٌ ومزاح وتعليقات وصور كاريكاتور لا تزيح غمّا ولا تشفي غليلا، مُظهِّرةً السؤال إياه الذي لا ننى نطرحه جميعا: كيف نحتمل هذا كلّه، وكيف لا نثور في وجه تلك الطغمة المجرمة الفاسدة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه؟ نسأل، مقاومين شعورا بالذنب، يختبئ في قعر سؤالٍ هو سؤال الضحيّة بامتياز: ماذا فعلتُ لأستحقّ هذا؟ ماذا فعلتُ، كأنّ المصاب لا يأتي من دون مسبّب، أو أنه لا يأتي إنْ لم تسمح له، أو لا يأتي إلا إذا استدعيتَه. ندرك، نحن اللبنانيين، وإن كنّا لا نستحقّ هذا كلّه، أن ثمّة يدا لنا فيه، أن الذين ينكّدون عيشنا ويصنعون بلاوينا اليوم، هم المسوخ والوحوش التي خلقتهم حروبنا وطائفيتنا وعصبياتنا، أمس. لقد تركناهم طويلا دونما محاسبة، بل إننا حتى انحزنا إليهم، ودافعنا عنهم، وكافحنا كي لا يهتزّ سلطانهم. واليوم؟ نتندّم على ذنوبنا المزعومة وبراءتنا الموهومة.

> كأنّ المصاب لا يأتي من دون مسبّب، أو أنه لا يأتي إنْ لم تسمح له، أو لا يأتي إلا إذا استدعيتَه

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**